مِن أجل ثقافة شيعية أصيلة

شرح
الزيارة الجامعة الكبيرة

عبدُ الحليم الغِـزّي

منشـورات موقع زهرائيّـون

شرح الزيارة الجامعة الكبيرة

برنامج تلفزيوني عرضته قناة المودّة الفضائية

في ثلاثين حلقة وبطريقة البث المباشر

ابتداءاً من تاريخ : 10 / 06 / 2010

يـــا زهـــــراء

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمْدُ للهِ والصّلاة عَلىَ رَسولِ الله وآلِهِ آلِ الله

واللَّعْنُ على أعدائِهم وأَعْدَاء شِيعَتِهم أَعْدَاء الله إلى يَومِ لقاءِ الله

الحلقة الثامنة

معنى وَمَعْدِنَ الرَّحْمَةِ

السلام عليكم جميعا يا مُحبي مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّد ورحمة الله وبركاته، أسعد الله أيامكم وأعاد الله عليكم هذه الأيام وعلى عوائلكم الكريمة باليُمن والبركة والخير والسعادة، هذه الحلقة الثامنة من برنامجنا الزيارة الجامعة الكبيرة حديث مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، حديث المحبة، حديث الطهارة والنقاء، حديث الحق، حديث النجاة في الدنيا والآخرة، تعالوا بنا لنركب في هذه السفينة في سفينة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، برنامجنا يتواصل معكم وإن شاء الله في شهر رمضان المبارك ونحن على أبوابه، هذا الشهر الذي ينتظره المؤمنون من السنة إلى السنة، شهر رمضان شهر مُحَمَّد وآل مُحَمَّد صلوات الله عليهم، نحن إن شاء الله سنتواصل معكم أنا وإخوتي عبر قناة المودة الفضائية وبالنسبة لبرنامج الزيارة الجامعة الكبيرة سيكون بين ليلة وليلة، سنقسم ليالي شهر رمضان في ليلة يكون البرنامج هو برنامج قرآننا وفي الليلة الأخرى يكون البرنامج الزيارة الجامعة الكبيرة، نبقى نتفيأ في ليالي وأيام شهر رمضان، نتفيأ في ظلال الكتاب والعترة، فيوم للقرآن ويوم للعترة، يوم يُطل عليكم برنامج قرآننا ويوم يُطلُ عليكم برنامج الزيارة الجامعة الكبيرة، وهناك برامج أخرى سيتم الإعلان عنها إن شاء الله في وقتها، ولكن بالنسبة لبرنامج الزيارة الجامعة الكبيرة سيكون بين ليلة وليلة حتى نتمكن أن نتناول أكثر قدرٍ من المعاني ومن المضامين التي حوتها هذه الزيارة الشريفة.

أما حلقتنا لهذا اليوم فقد وصلنا إلى قوله عليه السلام وهذا هو مفاتيح الجنان لشيخنا المُحدِّث القمي رضوان الله تعالى عليه، وصلنا في الزيارة الشريفة: **اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ، وَمَوْضِعَ الرِّسالَةِ، وَمُخْتَلَفَ الملائِكَةِ، وَمَهْبِطَ الْوَحْي** – آخر حديث كان عند هذا العنوان – **وَمَهْبِطَ الْوَحْيِ، وَمَعْدِنَ الرَّحْمَةِ** – حديثنا اليوم عند هذا العنوان: **مَعْدِنَ الرَّحْمَةِ.**

اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ، وَمَوْضِعَ الرِّسالَةِ، وَمُخْتَلَفَ الملائِكَةِ، وَمَهْبِطَ الْوَحْي، وَمَعْدِنَ الرَّحْمَةِ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ – معدن الرحمة أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامة عليهم أجمعين، المعدن في لغة العرب تعني مكان الإقامة والمُكوث، تعني مكان الإستقرار، ومعدن قد يكون اسم مكان وربما كان

مصدراً أيضاً ولا أريد الدخول في التفاصيل، عَدَنَ في لغة العرب يعني أقامَ طويلاً، ولذلك جاء التعبير القرآني عن جنات الخلود بأنها جنات عدن، جنات عدن يعني المكان الذي يكون الخلود فيه صفة ثابتة، جنات عدن يعني جنات البقاء يعني جنات الخلود، عَدَنَ في المكان يعني أقام فيه وبقي فيه ولبث في المكان، فيقال معدن يقال معدن الذهب مثلاً، أو يقال معدن الفضة، يعني المكان أو الحجر أو المركز أو المقر الذي يتواجد فيه الذهب بكثرة، يقال هذا معدن الذهب، هذه الأرض معدن الذهب، يعني في هذه الأرض توجد كميات كبيرة من الذهب، والذهب قد استقر في هذه الأرض، نقطع قسماً من أحجار الأرض ومن صخورها فنقول في هذه الأحجار في هذه الصخور يوجد ذهب كثير، يوجد حديد كثير، يُعبَّر عن ذلك بأن هذه الأحجار هذه الصخور معدن الذهب معدن الحديد وهكذا، المعدن المكان الذي يتواجد فيه الشيء سواء كان هذا الشيء إنساناً، حيواناً، جماداً، أي شيء.

معدن الرحمة، معدن الرحمة أي أنهم المكان أو الجهة أو المقام أو الرُتبة أو الكائنات التي حلت فيها الرحمة حلولاً ثابتاً حلولاً دائماً، الرحمة ما المراد من الرحمة؟ الرحمة بالنسبة للإنسان هو شعور والشعور الإنساني هو إنفعال، بالنسبة لله سبحانه وتعالى وبالنسبة للعقول القادسة الأولى لا يوجد في تلكم العوالم انفعال لا يوجد في الذات الآلهية انفعال ولا حتى في العوالم العقلية القادسة الأولى لا يوجد هنالك انفعال، لأن العوالم القادسة عوالم العقول الأولى، عالم الحقيقة المُحَمَّدية ، عالم الاسم الأعظم، عالم الفيض الأقدس سمي ما شئت من العبارات من المصطلحات، عالم النور الأول، عالم الماء الأول، كل هذه عناوين للحقيقة التي كانت مرآةً تجلى الله فيها، في علوم الميكانيك هكذا يقولون، يقولون بأن أعظم اختراع في تاريخ البشرية هو اختراع العجلة، يقولون هكذا بأن أعظم اختراع هو اختراع العجلة لماذا؟ لأن اختراع العجلة هو بداية الحركة على الأرض، بداية الحركة الصناعية شيء صنعه الإنسان وهو يتحرك، هذه الحركة الصناعية هي كانت أساساً وكانت أُمَّاً ومنشئاً لسائر الصناعات الأخرى وكانت منشئاً وأساساً لكل هذه التقنيات الهائلة التي وصل اليها الإنسان، فيقال بأن أعظم اختراع هو العجلة أصحاب المعارف الإلهية وأصحاب العلوم العميقة يقولون بأن أعظم اختراع أخترعه الإنسان وصل إليه الإنسان هو المرآة لماذا؟ لأنهم من خلال المرآة وبواسطة المرآة يستطيعون أن يجعلوا منها مثالاً لكثيرٍ من الحقائق وخصوصاً لأعظم حقيقة في هذا الوجود، أعظم حقيقة في هذا الوجود ترتبط بنا نحن الموجودات حقيقة تجلي الله سبحانه وتعالى في النور الأول، أفضل مثال يمكن أن يقرب لنا المعنى هو المرآة، المرآة حينما يقف الإنسان أمامها تتجلى صورته في هذه المرآة، لكن لا يعني أن هذه الصورة هي نفس الإنسان، هذه صورة الإنسان.

الحقيقة المُحَمَّدية هي المرآة التي تجلى الله فيها، الحقيقة المُحَمَّدية ليست هي الله وإنما هي مرآة تجلى الله فيها، أنا حينما أقف أمام المرآة وأنت حينما تقف أمام المرآة هناك صورة موجودة في هذه المرآة، هذه

الصورة تماثل الحقيقة لكن ليست هي الحقيقة، كذلك الحقيقة المُحَمَّدية، النور الأول إنه مرآة، الحقيقة المُحَمَّدية هي مرآةٌ، نفس المرآة هي نفس التجلي، الأمثلة طبعا تقرب من وجه وتُبعد من وجه، الأمثلة الحسية إذا أردنا أن نأتي بها لتوضيح المعاني العميقة، المعاني الغائرة في العمق في البعد المعرفي بعيداً عن الحواس، تكون الأمثلة الحسية مقربة من وجه ومبعدة من وجه آخر، الفلسفة وهي في عُمقها دون علوم المعارف الإلهية العميقة، الدارسون للفلسفة في بداية الأمر الأساتذة حين يدرسون الفلسفة يقربون المعاني بأمثلة حسية، ولكن بعد ذلك حين يتمرن ذهن الطالب على الدراسة الفلسفية لا يؤتى له بالأمثلة، لأن التفكير وفقاً للأمثلة المادية يسيء إلى أصل الفكرة، فالأمثلة تُقرب من وجه وتبعد من وجه آخر، إنما يؤتى بالأمثلة لغير المختصين، وإلا الذين تعودت أذهانهم على التفكير الفلسفي وعلى إحضار الصور المُجردة في الذهن البشري لتتبع المعلومات ولتصور المعلومات فهم لا يحتاجون إلى الأمثلة بل يجدون أن الأمثلة تُبعد المعاني عن مركزها الصحيح وتخرج الحقائق عن مقاماتها وعن مراتبها، لكننا نحتاج إلى بعض الأمثلة لتقريب المعاني وهي في نفس الوقت تبعد المعاني.

لَمَّا جئت بمثال المرآة أنا حين أقف أمام المرآة أمامي مرآة وصورة، لكن حين أتحدث عن الحقيقة المحَمَّدية فالحقيقة المُحَمَّدية هي المرآة وهي الصورة في نفس الوقت، أنا حين أقف أمام المرآة الحسية في حياتي اليومية هناك مرآة وصورة ولكنني حينما أطيل النظر إلى صورتي في المرآة أغفل عن المرآة حتى يمكن أن يقال بأن المرآة فنت في الصورة، فكأن الذي أمامي صورة وليس مرآة فيها صورة، لأن عقلي وحواسي تغفل عن المرآة يبقى نظري منشداً إلى الصورة، هذا في العالم الحسي، أما في العوالم الأولى المُجردة عن مثل هذه المعاني الناقصة والمعاني المقيدة فالحقيقة المُحَمَّدية هي المرآة وهي الصورة التي تجلت في المرآة، ومن هنا قال الحكماء، العرفاء قالوا بأنه من أعظم الاختراعات التي اخترعها الإنسان المرآة لأنها تعين الإنسان على فهم الحقيقة العظمى في هذا الوجود وهي حقيقة التجلي، التجلي الإلهي في النور الاول، فهم معدن الرحمة، هم معدن الرحمة يعني هم الجهة والمقام والمجلى والمرآة التي شعت فيها الرحمة وتجلت فيها الرحمة، هم معدن الرحمة، هم المكان الذي والجهة التي والمرآة التي سطعت فيها حقيقة الرحمن، كما قلت قبل قليل بأن الرحمة بالنسبة لعامة الخلق هو شعور وهذا الشعور عبارة عن انفعال، انفعال القلب البشري بأي شيءٍ؟ انفعال القلب البشري لنقص يراه في غيره فيحاول الإنسان مندفعاً لإكمال ذلك النقص، حينما يرى الإنسان محتاجاً وحاجته بشكل مؤثر في القلب فإن القلب بسبب استشعاره للنقص في هذا المحتاج سَيَلم به شعور الإنكسار الذي يدفع الإنسان لإتمام نقص هذا المحتاج لقضاء حاجته وهذا هو الرحمة، قد يكون هذا المحتاج ابناً، طفلاً، زوجةً، أباً، صديقاً، جاراً أو غريباً أصلاً، وقد تكون الرحمة باتجاه حيوان أو باتجاه نبات أو باتجاه أي شيء آخر، الرحمة بالنسبة للإنسان شعور وحقيقة هذا الشعور هو انفعالٌ قلبي ينبعث في

القلب بسبب استشعار الإنسان لنقص في من يريد أن يرحمه، فهو يحاول بذلك أن يتم النقص الموجود في ذلك الإنسان الذي عطف عليه أو أراد أن يصب رحمته عليه، بالنسبة لله سبحانه وتعالى لا يمكن أن يكون هذا المعنى فهو منزه عن الانفعال، منزه عن المشاعر، لماذا هو منزه عن المشاعر؟ لأن المشاعر انفعال والذات الإلهية منزهة عن الانفعال، الذات الإلهية ذات فاعلة لا يوجد فيها انفعال، والحقائق القادسة الأولى أيضاً هي منزهة عن الانفعال – **لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك** – جهة الانفعال فيها فقط أنهم عبيد لله، الحقائق القادسة الأولى هي من وجهتها باتجاه الخلق هي فاعلة، هي مؤثرة فقط، ومن وجهتها باتجاه الله سبحانه وتعالى فهي منفعلة لأنها في مقام العبودية الكاملة – **لا فرق بينك وبينها** – هذه الجهة من جهة الخلق – **إلا أنهم عبادك** – هذه الجهة من جهة الله سبحانه وتعالى، هذا الكلام في عالم الحقائق القادسة الأولى، في النور الأول الذي أشرق منه كل شيء، النصوص واضحة في أن كل شيءٍ أشرق من أنوارهم والحديث في تلكم المرحلة.

هم معدن الرحمة، أهل البيت معدن الرحمة في الحقائق القادسة الأولى وفي ما بعد ذلك من العوالم، في عالم الحجب، في عالم العرش، في عالم الكرسي، في السماوات السبع وفي الأرضين، في كل طبقة من طبقات هذا الوجود هم معدن الرحمة، هذا هو المعنى الإجمالي لمعدن الرحمة، هذا هو المعنى الذي جمعت فيه بين جناحين، بين الجناح اللغوي، المعنى اللغوي وبين الجناح المعرفي المستند إلى المعاني المستقاة من حديث الكتاب ومن حديث العترة، هذا الشيء المُجمل وسندخل في التفاصيل، فهم معدن الرحمة، الرحمة هي التي تجلّت فيهم ثم تجلت منهم فكانت الخلائق، فأنا موجود بالرحمة، وأنت موجود بالرحمة، وهكذا كل موجود إنما هو موجود بالرحمة، ولذلك رحمتي سبقت غضبي، مر الكلام فيما سلف من أن الكتاب التدويني وهو القرآن الكريم إنما هو صورة رمزية للكتاب التكويني وهو الوجود، أول آية في الكتاب الكريم، أول آية حين نفتح قرآننا أيَّةُ آية تواجهنا؟ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ هذه أول آية في كتاب الله العزيز، في أول سورة اسمها الفاتحة، يعني من هنا نفتتح الكتاب التدويني، الفاتحة منها نفتتح الكتاب التدويني وأول شيء في هذه الفاتحة هي الآية الكريمة ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ هذه الآية المشتملة على هذين الوصفين: **الرَّحْمَنِ** ، **الرَّحِيمِ**. ونحن نتحدث عن معدن الرحمة والرحمة لها مقامان:

مقام الرحمانية ومقام الرحيمية، وهم معدن الرحمة، معدن المرتبة التي تستقر فيها الرحمة بكاملها بكل مراتبها بكل مجاليها، مجالي هذه الرحمة الآية تشير إليها هناك رحمة رحمانية وهناك رحمة رحيمية وهي أول آية من آيات الكتاب الكريم ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ كلمة نرددها على ألسنتنا لكننا لانعرف حقيقتها وأقول

هذه الكلمة ليس من قبيل التعبير الأدبي لأجل تعظيم القرآن، لأن هذا الكلام يمكن أن يقوله كل أحد لتعظيم أي شخصٍ، شخص يموت أي واحد يقوم لتأبينه يقول بأنني عاجز عن ذكر مناقبه وفضائله وهذا كلام أدبي لا قيمة له، لأن أي شخصٍ مهما بلغ إذا أردنا ان نعد مساوئه فإن مساوئه ستكون أكثر من محاسنه، مادام هذا الإنسان ليس معصوماً فإن مساويء غير المعصوم أكثر من محاسنه أيّاً كان هذا الإنسان، وهذا هو لسان الأدعية، حينما نقرأ أدعية أهل البيت، هذه الأدعية إما أن تكون تتكلم عن واقع وعن حقيقة وإما هي مجرد كلام ولقلقة لسانية، حينما نقرأ الأدعية نجد أن هذه الأدعية تخبرنا بأن المساويء الموجودة عندنا هي أكثر من المحاسن.

في دعاء أبي حمزة الثمالي رضوان الله تعالى عليه المروي عن إمامنا السجاد عبارة واحدة قصيرة – **خيرك إلينا نازل وشرنا إليك صاعد ولم يزل ولا يزال ملك كريم يأتيك عنا بعمل قبيح** – هذه الحالة حالة مستمرة ليل نهار في اليقضة وفي المنام، لأن العمل القبيح ليس فقط هو الذي يقع في دائرة المحرم أو في دائرة المكروه، العمل القبيح حتى العمل الصالح إذا لم يأتي على الشرائط الكاملة سيكون قبيحاً، يعني الآن الإنسان حينما مثلاً يقوم ببناء بيت إذا لم يبني هذا البيت على أصوله سيكون هذا البناء قبيحاً وسيكون هذا البناء فيه من العيوب وفيه من المشاكل التي سيعاني منها الساكن الذي سيسكن في هذا البناء، وهكذا في كل شيء، الخياط الذي يخيط ثوباً إذا لم يحسن الخياطة ويأتي بها على أصولها فسيكون هذا الثوب قبيحاً، لم تكن نيته أن يأتي بعمل قبيح وكل نيته أن يأتي بعمل حسن ولكنه ما أحسن العمل – **ولم يزل ولا يزال ملك كريم يأتيك عنا بعمل قبيح** – ولم يزل ولا يزال، على أي حال ليس الكلام هنا في هذه التفاصيل، لكنني حين أقول بأننا نعجز عن فهم هذه الآية فذلك ليس من قبيل الإنشاء وإنما من قبيل الحقيقة الناصعة الواضحة، في سورة الحجر المباركة وفي الآية السابعة والثمانين القرآن يخاطب رسول الله وكل الخطابات الموجودة في القرآن لرسول الله هي مُوجّهة لكل من يرتبط بهذا القرآن، ولكن بدرجةٍ من الدرجات، بنحوٍ من الأنحاء، ماذا تقول الآية السابعة والثمانون من سورة الحجر ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ**﴾ الآية هنا ذكرت شيئين نزلا على رسول الله سبعاً من المثاني هذا في كفة وهذا أولاً جاء مذكوراً، والقرآن العظيم في كفة ثانية كأنه هناك مساواة بل إن السبع المثاني قُدمت على القرآن ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي**﴾ السبع من المثاني واضح في العديد من كلمات أهل البيت هي الفاتحة، أنا هنا لا أريد أن أفسر هذه الآية، في وجه من وجوه الآية سبعاً يعني الآيات السبعة والمثاني لأنها تكرر في كل صلاة مرتين، أو لأنها نزلت مرتين فإن الفاتحة نزلت في مكة ونزلت في المدينة، وهناك من يقول بأنها نزلت

قبل البعثة وبعد البعثة لأن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يصلي ولا صلاة إلا بفاتحة الكتاب هذا قانون لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب فكيف كان يصلي، لابد أن يصلي بفاتحة الكتاب وإن كان مقام رسول الله صلى الله عليه وآله أوسع وأعمق من هذا ومرّ الكلام فيما سلف من أحاديثي السابقة في القرآن الكريم ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ وأشرت إلى أن القرآن بجملته وبتفاصيله في قلب مُحَمَّد صلى الله عليه وآله، على أي حال، أعود إلى الجهة التي أريد الكلام عنها ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ يعني أن الفاتحة جُعلت في كفة والقرآن بكله جُعِل في كفة، السبع المثاني هي الفاتحة الآية صريحة في سورة الحجر ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ وتاج هذه السبع المثاني هي البسملة وأول آية في هذه السبع المثاني هي البسملة. فقط اقتطف بعضاً من الأحاديث ومن الروايات التي تحدثت عن جوانب من البسملة. الرواية منقولة عن الشيخ الطوسي عن كتابه التهذيب وهو أحد الأصول الأربعة المعروفة – **عن مُحَمَّد بن مسلم قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام إمامنا الصادق عن السبع المثاني والقرآن العظيم** – عن الآية التي مر ذكرها قبل قليل – **أهي الفاتحة؟ قال: نعم، قلتُ: بسم الله الرحمن الرحيم من السبع؟ قال: نعم هي أفضلهن** – هي أفضل السبع المثاني.

رواية ثانية عن عبد الله بن يحيى الكاهلي – **عن ابي عبد الله عليه السلام قال: بسم الله الرحمن الرحيم أقرب إلى اسم الله الأعظم من ناظر العين إلى بياضها** – وطبعاً هنا أنا لا أريد الحديث عن معنى الاسم الأعظم يأتينا إن شاء الله في الحلقات القادمة ونتحدث عن معنى الاسم الأعظم، وربما نشير إلى هذه الرواية أيضاً، موطن الحاجة هنا أولاً من خلال هذه الروايات تتبين لنا أهمية البسملة، وإنما تظهر أهمية المسألة لأي شيءٍ؟ لمحتواها، أي مسألة تظهر أهميتها لعظمة محتواها، حينما يتحدث القرآن عن السبع المثاني ويجعلها عِدلاً للقرآن ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ وحينما يقول الإمام بأن البسملة هي أفضل السبع المثاني إلى أي شيءٍ يشير ذلك؟ يشير ذلك إلى أهمية مضمونها، إلى أهمية محتواها، إلى أهمية دلالتها، ولذلك الرواية تقول: أقرب، البسملة، إلى اسم الله الأعظم من ناظر العين إلى بياضها، كم هي المسافة، ناظر العين يعني السواد، ناظر العين هو سواد العين، وعندنا روايات أخرى تصرح أن البسملة أقرب إلى اسم الله الأعظم من سواد العين إلى بياضها، فناظر العين المراد هو سواد العين، هل هناك مسافة موجودة بين السواد والبياض؟ سواد العين وبياض العين هو في أفقٍ واحد، لا توجد هناك مسافة وبُعد بين السواد والبياض، فهذه البسملة قريبة إلى اسم الله الأعظم أكثر من قرب سواد العين إلى بياضها، أقرب إلى اسم الله الأعظم من ناظر العين إلى بياضها، أقرب من ذلك، هذا يعني أنها هي الاسم الأعظم ولكن بوجه من

الوجوه، أنا قلت في المعارف الإلهية لابد أن نحافظ على الحيثيات وأن نحافظ على المقامات، قاعدة حفظ المقامات في المعارف الإلهية في المطالب الحكمية هي القاعدة الذهبية الأولى وإلا من دونها يكون هناك خلط وخبط، ومن هنا جاء التأكيد في روايات أهل البيت على البسملة وجعلت الروايات الإجهار والجهر بالبسملة شعاراً من شعارات محبي أهل البيت وعلامة من علائم محبيهم، القضية ليست سياسيةً والقضية ليست إجتماعية وليست عناداً أو خلافاً على أحد، وإنما الحقيقة كذلك، أولئك المخالفون هم أرادوا أن يطمسوا هذه الحقيقة، رواية جميلة للفائدة أذكرها، الرواية عن إمامنا الصادق مروية في تفسير العياشي الإمام يقول: **إذا أَمَّ الرجل القوم** – يعني في صلاة الجماعة – **إذا أَمَّ الرجل القوم جاء شيطان إلى الشيطان الذي هو قريب إلى الإمام** – لأنه مذكور في الروايات بأن الإنسان دائماً هناك من وكلاء إبليس من شياطين الجن من هو قريب منه، هذا المعنى موجود – **إذا أَمَّ الرجل القوم جاء شيطان إلى الشيطان الذي هو قريب إلى الإمام فيقول:** – هذا الشيطان الآتي يسأل الشيطان الذي كان موجوداً قبل أن يأتي هو – **يسأله: هل ذكر الله** – هو في صلاة مالمراد هل ذكر الله؟ الإمام يقول – **يعني هل قرأ بسم الله الرحمن الرحيم** – لأن القوم لا يقرأون بسم الله الرحمن الرحيم، مباشرة يبدءون الحمد لله رب العالمين بعد تكبيرة الإحرام، فهذا الشيطان الآتي يسأل الشيطان الأول – **هل ذكر الله؟ الإمام يقول: يعني هل قرأ بسم الله الرحمن الرحيم، الإمام صلوات الله عليه يقول: فإن قال نعم هرب منه** – هذا الشيطان الآتي الجديد يعني جاء بمهمة عنده مهمة ستتضح المهمة – **فيسأل الشيطان السابق هل ذكر الله؟ هل قرأ بسم الله الرحمن الرحيم؟ قال: نعم، إذا قال نعم يرجع** – فأنه لن يجد مجالاً لتنفيذ مهمته – **وإن قال لا** – لم يذكر بسم الله الرحمن الرحيم الإمام يقول – **ركب عنق الإمام ودَلى رجليه في صدره فلم يزل الشيطان إمام القوم حتى يفرغوا من صلاتهم.**

رواية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم – **إذا مرّ المؤمن على الصراط** – هذا في يوم القيامة – **إذا مر المؤمن على الصراط فيقول: بسم الله الرحمن الرحيم** – وطبعاً لا يستطيع كل أحد أن يقولها والقضية ليست لفظية، الحديث عن عالم الآخرة ليس الحديث حديث ألفاظ لأنه في عالم الآخرة القضية تختلف ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ هذا البصر في المستوى الحسي، في المستوى العقلي، في المستوى القلبي والوجداني، في المستوى البصيرتي في جميع المستويات بصرك اليوم حديد، القضية تتجاوز الألفاظ والطقوس – **إذا مر المؤمن على الصراط فيقول بسم الله الرحمن الرحيم أُطفئ لهب النار** – هذه البسملة تطفئ لهب النار حتى يستطيع أن يجوز على الصراط لأن الصراط جسر ممدود في جهنم هكذا وصفت الروايات الصراط – **أُطفئ لهب النار وتقول** – جهنم تقول – **جُز يا مؤمن فإن نورك قد أطفأ**

لهبي – الرواية دقيقة جداً، البسملة هنا ما أطفأت نار جهنم وإنما أطفأت اللهب الذي يحيط بالصراط، لأن الصراط جسر ممدود على جهنم ولهب النار يحيط به فمن يجوز على هذا الصراط يأخذه اللهب يسقط في جهنم – **فإذا قال بسم الله الرحمن الرحيم أطفئ لهب النار وتقول: جُز يا مؤمن فإن نورك قد أطفأ لهبي** – هذه الروايات وغيرها من كلمات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين تحدثنا وتنبئنا عن عظمة المحتوى الذي تشتمل عليه هذه البسملة، كما قلت بأن الكتاب الكريم الكتاب التدويني إنما هو صورة، هو عبارة عن خريطة عن مجلى لكل الوجود، فيه تبيان كل شيء ولكن بُين فيه كل شيء بطريقة الرمز وهذا الرمز لا يعرفه إلا من خوطب به، القرآن ليس مجرد كتاب فيه جمل وعبارات وألفاظ لبيان مجموعة من الأحكام الشرعية وبعض المطالب العقائدية هذا وجه من وجوه القرآن، القرآن هو مجمع أسرار الوجود، وأسرار الوجود وضعت بشكل رموز في هذا القرآن وهذه الرموز لا يستطيع فكها إلا الأئمة ولذلك هذه الحروف المقطعة في أوائل السور الم، المص، المر، وهكذا، هذه الحروف هي نفس الحروف التي تألف منها القرآن لكن الله جعلها في تأليفٍ خاص بهذا الشكل فكانت خزانة للأسرار، ونفس هذه الحروف التي تألفت منها الآيات التي تشتمل على جمل وكلمات لها معاني هذا تأليفٌ آخر للرموز القرآنية فيها أسرار أكثر من الأسرار الموجودة في الحروف المقطعة، الحروف المقطعة هي عناوين وهي أمثلة تشير إلى مفاتيح لأبواب هذه الأبواب توصلنا إلى خزانة الأسرار التي لا أصل إليها أنا وأنت، هذه مفاتيح عند الإمام المعصوم صلوات الله وسلامه عليه.

ربما إذا جئت بمثال للذين يعرفون العمل على الكمبيوتر، هذه لوحة المفاتيح الكيبورد من خلال الرموز الموجودة ومن خلال المفاتيح الموجودة يستطيع المُتعامل مع جهاز الكمبيوتر أن يسبر أغوار الكمبيوتر، القرآن بمثابة مفاتيح بمثابة رموز تكشف عن الحقائق، أما هذا الوجه وجه العبارة هذا لي ولأمثالي لعامة الناس، الحقائق مودعة في باطن هذا القرآن والقرآن أعمق غوراً كما يقول سيد الأوصياء – **ظاهرة أنيق وباطنه عميق** – شيء يصفه عليٌّ صلوات الله عليه بأنه عميق ما هو هذا الشيء؟ ما هو هذا العمق؟ عليٌّ الذي يقول – **ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله وبعده ومعه وفيه** – عليٌّ الذي يملك هذه الرؤية هو يقول عن القرآن بأنه عميق، عليٌّ الذي رؤيته العادية بهذا العمق – **ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله** – ما رأيت شيئا، يعني أيّ شيء يواجهه في الحياة يراه بهذه الرؤية، رؤية عليٍّ العادية بالنسبة له هي هذه – **ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله وبعده ومعه وفيه** – أي رؤية هذه، هذا الكلام ليس إنشائياً، هذا كلام علوي والكلام العلوي علوي الكلام علوي المعنى، هذا المعنى لا نستطيع أن نتصوره – **ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله وبعده معه وفيه** – أنا يمكن أن أشرح هذه العبارة كما يشرحها الشُرّاح ولكن هذه شروح

سطحية لا معنى لها، يمكن أن أأتي بعدة شروح لهذه العبارة وهذه الشروح موجودة في الكتب ذكرها العلماء ولكنها شروح سطحية لا تتناسب مع المتكلم ومع كلامه الذي هو بعمق مقامه وبعمق رتبته، فعليٌّ الذي هو في رؤيتِهِ العادية هكذا يتكلم يقول عن القرآن بأنه عميق، أي عمق إذاً في هذا الكتاب؟! الحديث ليس عن عبارات والحديث ليس عن ما يسمى بأسرار البلاغة في القرآن يدور حول تشخيص المُسند والمُسند إليه، ويدور حول تشخيص الحقيقة والمجاز والكناية والإستعارات وأمثال ذلك القضية أعمق وأعمق وأعمق من كل هذه الاتجاهات، لذلك هذه الروايات التي أشرت إلى بعض منها هي تحدثنا عن حقائق أعمق، تجلى النور الأول، لَمَّا تجلى النور الأول كان الوجود، الله تجلى لذاته بذاته وتجلى بذاته في تلكم المرآة، تجلى لذاته بذاته وتجلى في المرآة الأولى في الماء الأول في النور الأول، وبعد ذلك النور الأول تجلى فكانت التجليات في الحُجُب وفي العرش وفي الكرسي وفي السماوات وفي كل طبقات هذا الوجود هذا التجلي ما هي مادته؟

مادته الرحمة، لذلك هم معدن الرحمة، الحقيقة المحَمَّدية هي معدن الرحمة، الرحمة من هناك أتت، وما هذا التعبير القرآني ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ هذا مجلى من مجالي الرحمة في العالم الأرضي، هذه صورة الرحمة الأكبر، الرحمة الأعظم، معدن الرحمة، مصدر الرحمة، من أين تأتي بالذهب؟ تأتي بالذهب من معدن الذهب، من أين تأتينا الرحمة؟ تأتينا الرحمة من معدن الرحمة فتجلت الرحمة الرحمانية، الرحمة الرحمانية هي التي تجلت، ولذلك في سورة طه إذا أردنا أن نذهب إلى سورة طه فنقرأ في الآية السادسة وفي الآية الخامسة ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ هذه الرحمة الرحمانية ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى * لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ ومر علينا في الحلقات الماضية بأن الله فتق من نور مُحَمَّد العرش، خلق العرش من نور مُحَمَّد ولقد قال صلى الله عليه وآله – **وإن نوري أفضل من العرش** – لأن العرش خُلق من نوري ونوري من نور الله سبحانه وتعالى ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى * لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ العرش محيطٌ بعالم الكرسي وسعة العرش بالنسبة للكرسي تقدم الحديث عنها، الكرسي كحلقة في فلات بالنسبة للعرش، والسماوات السبع كحلقة في فلات بالنسبة إلى الكرسي.

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ العرش هو الوعاء الوجودي لكل ما يصل إليه العقل البشري من تفكير في طبقات هذا الوجود، وهذا العرش من نوره من النور الأول أشتق من النور الأول، ولم يكن يتحقق وجود العرش إلا بانبساط وباستواء الرحمانية عليه، العرش مادته الرحمانية، والكرسي مادته الرحمانية، وكل الوجود

مادته الرحمانية، ورحمتي سبقت غضبي، الرحمة فيها إشارة إلى صفات الجمال الإلهي، والغضب فيه إشارة إلى صفات الجلال الإلهي ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى * لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ فهناك الرحمانية المستوية على العرش، استوت، وكيف تستوي هذه الرحمانية؟ ذلك معنى لا نستطيع أن نتصوره بوجه الحقيقة ولكننا يمكن أن نستقرب المعاني من خلال الروايات أن استوائية الرحمة هو نفوذ الرحمة في كل جزء من أجزاء وجود العرش والكرسي وما دون الكرسي، كما قلت قبل قليل بأن مادة وجود العرش، مادة وجود الكرسي هي الرحمة، الرحمة المشرقة والساطعة من أين؟

من معدن الرحمة، لأن الرحمة من أين تأتي؟ تأتي من المعدن من المكان الذي أستقرت فيه، فمن هناك جاءت الرحمة، كان الإشراق الأول هو إشراق الرحمة الرحمانية. في سورة الفرقان ربما يأتي نفس الكلام في الآية التاسعة والخمسين، ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ﴾ أين تجلت الرحمة الرحمانية؟ هي في الإستواء على العرش ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ وهذه هي الرحمة الرحمانية التي انبسطت على كل الوجود، في سورة الأعراف الآية الرابعة والخمسون ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ الآية تتحدث عن استوائية العرش على كل شيء، وتتحدث عن استوائية الرحمة على العرش، إذا أردنا أن نجمع هذه الآية مع الآيات المتقدمة ومع آيات أخرى جاءت مذكورة في الكتاب الكريم ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾ هذه من شؤونات الخلق ﴿يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ كل هذا مادته الرحمة لأن الاستوائية على العرش هي استوائية الرحمانية، ما قالت الآيات الله استوى على العرش، قالت الرحمن استوى على العرش، الله الاسم الجامع، أما الرحمن فهي صفة من صفاته وتجلٍ من تجلياته واسم من اسمائه، الآيات ما قالت إن الله استوى على العرش قالت الرحمن استوى على العرش، رحمانيته هي التي استوت على العرش ورحمانيته إنما تجلت في المرآة الأولى، الله تجلى في المرآة الأولى والمرآة الأولى عكست هذا التجلي، أين عكست هذا التجلي؟

في العرش وما دون العرش وجميع شؤونات ما دون العرش ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ

﴿وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ جميع هذه الشؤونات هذه أمثلة، هذا أمثلة على شؤونات الموجودات، جميع هذه الشؤونات هي سارية في دائرة الرحمة، ومادة سريانها الرحمة، الرحمة الرحمانية، كل الوجود متحقق بالرحمة الرحمانية ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ هناك الخلق وهناك الأمر ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ كل ذلك متفرع عن أي شيء؟ عن استوائية الرحمانية على العرش، في سورة هود في الآية السابعة ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الماء﴾ الآيات المتقدمة تحدثت عن أن العرش محيط بكل شأن، وأن الرحمانية هي المستوية على العرش، أن الله استوى على العرش برحمانيته، لكن هذا العرش في حقيقته أين ثباته؟ ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الماء﴾ هذه إشارة أوضح من الإشارات السابقة، كان عرشه على الماء، الحديث هنا ليس عن عرش يبنى على الماء، هذه رموز وإشارات، لا يعني أنه كان هناك بحر من ماء وموجود عليه كرسي يقال له العرش أو بناء يقال له العرش، هذه قضية عميقة جداً.

الماء هنا هو الماء الأول، هو الاسم الأول، هو النور الأول، هذا الماء الذي استند وثبت بسببه العرش، كان عرشه على الماء، يعني هل يمكن أن يكون العرش من دون قاعدة، كيف يتحقق؟ يعني إن أساس العرش إن ثبات العرش هو بسبب الماء ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الماء﴾ هذا الماء هو الذي إليه الإشارة في الآية الثلاثين من سورة الأنبياء ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الماء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ الآيات القرآنية لها وجوه، قد يقول البعض الآية فيها إشارة إلى الوجودات الطبيعية المتكونة في العالم الأرضي هذا وجه من الوجوه، لكن الحديث إذا كان بهذا العُمق الآية يكون لها وجه آخر ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الماء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ والحي هنا ليس المراد منه الحيوان وإنما وجعلنا من الماء كل شيء موجود فما من شيء إلا وهو يسبح بحمد الله وتلك هي الحياة الحقيقية، هل يوجد شيء إلا وهو يسبح؟ التسبيح دليل الحياة، لكن ما نسميه نحن بالحياة في العالم الأرضي هي صورة من صور الحياة اسمها الحياة الحيوانية، أما الحياة فغير منحصرة فقط بالحياة الحيوانية، حتى الجمادات لها حياة لأنه ما من شيء إلا وهو يسبح بحمد الله، التسبيح فيه دلالة على الحياة، فيه دلالة على الإدراك، فيه دلالة على اللغات، يعني حتى الجمادات عندها لغات، حتى الجمادات عندها شيء من الإدراك يناسبها بما هي هي، وهذه اللغات وهذه الإدراكات الإمام المعصوم محيط بها يعلم بها لأن الإمام المعصوم صلوات الله وسلامه عليه محيط بكل شيء، ويأتينا إن شاء الله في الحلقة القادمة لأنه العنوان القادم في الحلقة القادمة: **وَخُزّانَ الْعِلم – وَمَعْدِنَ الرَّحْمَةِ، وَخُزّانَ الْعِلم** – حين يكون الحديث عن خزان العلم تتضح هذه الحقائق.

﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الماء﴾ في الآية السابعة من سورة هود ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الماء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ في الآية الثلاثين من سورة الأنبياء، كل شيء جُعلَ من أي شيء؟ من معدن الرحمة، الماء هو عنوان آخر من عناوين رحمة الباري سبحانه وتعالى، فهم معدن الرحمة والآية الأولى من الكتاب الكريم ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ تشير بنحو مجمل إلى كل هذه الحقائق التي مرت الإشارة إليها، والرواية معروفة التي ينقلها ابن عباس عن سيد الأوصياء بأن القرآن كله في الفاتحة وبأن الفاتحة كلها في البسملة وبأن البسملة كل البسملة في الباء وكل ما في الباء في النقطة، ثم قال عليٌ عليه السلام: وأنا النقطة.

وهذه النقطة هي التي منها حين تحركت كُتبت ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ . ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ أليست هي عبارة عن مجموعة نقاط تشكلت تجلت بهذه الصورة، هذه النقطة هي معدن الكتابة، فماذا كتبت؟ كتبت باللفظ وبالرسم وبالصورة عنوان الرحمة، هذه النقطة هي رمز لتلكم الرحمة، للرحمة الرحمانية، وللرحمة الرحيمية بسم الله الرحمن الرحيم أولاً الرحمن ثانياً الرحيم، الرحمة الرحمانية هي مادة الوجود، أما الرحمة الرحيمية هي مادة الولاية، مرادي من الولاية معنى أكبر من قضية العاطفة ومن قضية المحبة ومن قضية الإمامة التي هي في العالم الأرضي، الولاية هي الرابط الخاص الذي يربط أشرف الموجودات بالله سبحانه وتعالى، لذلك الرحمة الرحيمية رحمة خاصة وليست عامة، الرحمة الرحمانية رحمة عامة، ومن هنا ورد في بعض الروايات بأن الرحمن رحمن بالمؤمن وبالكافر، وبأن الرحيم رحيم بالمؤمنين، هذه إشارة لمعنى أوسع لأن الرحمة الرحمانية والرحمة الرحيمية أوسع من أن تكون محصورة بالبشر وبنوعين من البشر بالمؤمن والكافر، إنما هذه مصاديق أمثلة ونماذج، الرحمة الرحمانية هي مادة الوجود والرحمة الرحيمية هي مادة الولاية، الولاية هي العلاقة فيما بين الله سبحانه وتعالى وفيما بين أشرف الموجودات، فهناك الرحمة الرحمانية وهناك الرحمة الرحيمية، وأشرف الموجودات يمكن أن يكون في عالم الملائكة، هناك ما هو الأشرف في عالم الملائكة، هناك ما هو الأشرف في عالم الحُجُب، أليس أن الروح خلق أعظم من الملائكة؟!

هناك مخلوقات أعظم من الملائكة، وإذا قيل عنهم ملائكة الحُجُب فذلك تعبيرٌ مجازي لأن الملائكة بعنوانٍ عام هم سكان العوالم العلوية، وإلا فسكان الحُجُب هم مخلوقات تختلف عن الملائكة الذين هم سكان السماوات، في العالم الأرضي، في عالم الجمادات، في عالم الحيوانات، في كل عالم هناك موجودات أشرف لها الشرافة فهي قريبة، هي قريبة من دائرة الله سبحانه وتعالى، هذه العلاقة، هذه الموجودات، هذا الرباط هو هذا الذي يعبر عنه بالولاية، الولاية أعم من معنى المحبة والعاطفة، وإنما هو الرباط الوجودي للمخلوقات الأشرف، وما يوم القيامة إلا يوم التمييز بين المخلوقات الأشرف والمخلوقات التي هي معارضة مناقضة

مضادة للمخلوقات الأشرف وهذا ليس فقط للإنسان، يوم القيامة الروايات تتحدث إنما هو يومٌ لكل المخلوقات، لكن التركيز على الإنسان لأن الخطاب القرآني في بنيته العبائرية في بنية العبارة هو خطابٌ للإنسان من هنا كان التركيز على الإنسان ولأهمية الإنسان، وإلا عندنا في الروايات هناك توضيحات عن هذا الأمر، الملائكة أيضاً لهم قيامتهم ولهم مرتبتهم التي تتعلق بهم في يوم القيامة لهم شأنهم، وحتى الحيوانات لها شأنها، وحتى الجمادات لها شأنها، وهذا الموضوع لست بصدد الدخول في تفاصيله لكن هذا يتجلى من خلال تصفح الروايات المنقولة عن أهل البيت ومن خلال التبصر في آيات الكتاب الكريم.

رواية منقولة عن صفوان بن يحيى عمن حدثه، **عن أبي عبد الله عليه السلام أنه سُئل عن:**

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ **فقال: الباءُ بهاء الله، والسينُ سناء الله، والميمُ ملك الله** – هذه رواية تتحدث بلسانٍ آخر بغير اللسان اللغوي – **الباءُ بهاء الله، والسينُ سناء الله، والميمُ ملك الله، قال: قلت: الله ما معناها؟** – السائل يسأل عن بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بدأ الإمام أخذ كلمة بِسْمِ – **فقال: الباءُ بهاء الله، والسينُ سناء الله، والميمُ ملك الله، قال: قلت: الله؟ قال: الألفُ ألآء الله على خلقه من النعيم بولايتنا** – هذا كلام إمامنا الصادق في معنى لفظة الله – **قال: قلت: الله؟ قال: الألفُ ألآء الله على خلقه** – هذا هو الجزء الأول من تفسير البرهان لسيدنا هاشم البحراني رضوان الله تعالى عليه، وهذه الرواية ينقلها السيد هاشم البحراني عن كتاب معاني الأخبار للشيخ الصدوق وهو من كتب الحديث المعروفة والمعتبرة – **قال: قلت: الله؟ قال: الألفُ ألآء الله على خلقه من النعيم بولايتنا، واللامُ إلزام الله خلقه ولايتنا، قلتُ: فالهاءُ؟ قال: هوانٌ لمن خالف مُحَمَّداً وآل مُحَمَّد صلوات الله عليهم أجمعين قلتُ: الرحمنُ؟ قال: بجميع العالم، قلت: الرحيمُ؟ قال: بالمؤمنين خاصة** – أنا هنا لا أريد أن أشرح هذه الرواية لأنني إذا دخلتُ فيها فسأترك أصل المطلب لكنني أردت أن أبين بأن البسملة التي هي عنوان الرحمة، الرحمة الرحمانية والرحمة الرحيمية، هذه البسملة التي قال عنها عليٌّ بأنها في النقطة وهو النقطة فإنها بحرٌ عميقٌ غائرٌ في الإشارة إلى تلكم الحقيقة العظمى، أي حقيقة؟

حقيقةُ معدن الرحمة ومعدن الرحمة كما قلت قبل قليل الحقيقةُ المُحَمَّدية، النور الأول، كل هذه الروايات وكل هذا الكلام يشيرُ إلى تلكم الحقيقة، أنا لا أريد أن أخوض هنا فيما قاله المفسرون في أن بِسْمِ اللّهِ بأي شيءٍ متعلقة؟ هل أبتدئُ، أستعينُ، أذكرُ، يظهرُ، وإلى غير ذلك على اختلاف مشاربهم وأذواقهم، هناك رواية منقولة أيضاً عن الشيخ الصدوق:

عن عليّ بن الحسن بن فضَّال عن أبيه، عن الحسن بن فضَّال قال: سألت الرضا عليَّ بن موسى عليه السلام عن ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ **فقال: معنى قول القائل** ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ **أي أسمي على**

نفسي سمةً من سمات الله عز وجل وهي العبادة ، قال: فقلت له وما السِمة؟ قال: العلامة – يعني أضعُ على نفسي علامة من علائم الله – **قال: وهي العبادة** – العبادة لا بمعنى الصلاة، الحديث هنا ليس عن الصلاة، قال – **إنما أسمي على نفسي سمة** – السمة العلامة، العبادة هذا العنوان الذي يتحدث عن جوهر وجود الأشياء وجوهر وجود الأشياء هو الرحمة، ربما تحدثت شيئاً ما في احتفال حسينية الإمام المهدي عليه السلام في عيد مولد إمام زماننا وأشرت إلى هذا الآية، الآية التي جاءت في سورة الزخرف وهي الآية الحادية والثمانون ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ أول العابدين بينت المراد، فأنا أول الموجودين، أنا أول الموجودات، وإنما وصف نفسه بهذا الوصف لأن العبادة هي جوهر الوجود، ولذلك في سورة الذاريات في الآية السادسة والخمسين ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ علة الخلق العبادة والآية السابقة ﴿فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ تشير إلى أن التجلي الذي ظهر في أول الوجود هو العبادة.

والعبادةُ هي العبوديةُ وهي جوهر التحقق، وجوهر التحقق كما قلت قبل قليل مادة التحقق الرحمة، الرحمة الرحمانية المنبسطة والرحمة الرحيمية التي هي الولاية، هناك الوجود المنبسط المُتجلي من الحقيقة المُحَمَّدية في الرحمة الرحمانية، وهناك أيضاً الوجود المتجلي المنبسط من الرحمة الرحيمية لأشرف الموجودات لأشرف الكائنات، الكائنات الشريفة التي ترتبط برباط الولاية، الولاية في معناها الواسع في معناها العميق لا في المعنى العاطفي، إمامنا الرضا هنا يشير إلى هذه القضية قال – **أسمي على نفسي سمةً من سمات الله عزَّ وجلَّ وهي العبادة، فقلت له: وما السِمة؟ قال: العلامة** – أن أجعل على نفسي علامة، كيف يجعل على نفسه علامة؟ يجعل على نفسه علامة يعني أن يفنى في علامةٍ من علامات الله، أن يكون هو علامة، يجعل على نفسه علامة وشيئاً فشيئاً يفنى في هذه العلامة، هذه العلامة إليها الإشارة في دعاء شهر رجب المنقول عن الإمام الحُجة عليه السلام والذي يستحب قراءته في كل يومٍ من أيام شهر رجب، بل يمكن قراءته في أي يوم لأنه من الأدعية العامة، فيه مضامين عامة، الدعاء الذي أوله: **اللَّهُمَّ إني أسألك بمعاني جميع ما يدعوك به ولاة أمرك** – إلى أن يقول الدعاء – **لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقك فتقها ورتقها بيدك بدؤها منك وعودها إليك أعضادٌ وأشهاد ومُناةٌ وأذواد وحَفَظَةٌ ورواد فبهم ملأت سمائك وأرضك** – هذه تجلياتهم، كيف بهم ملأ السماء والأرض؟ هذه تجلياتهم هذه الرحمة المستوية والرحمة المستوية لها ظهورات، في عالم العرش استوت الرحمة على العرش، في عالم الكرسي استوت الرحمةُ على الكرسي، وفي كل سماءٍ استوت الرحمة، في كل طبقةٍ من طبقات هذا الوجود – **فبهم ملأت سمائك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلا أنت** – حتى ظهر أن لا إله إلا أنت لأن الله تجلى في معدن الرحمة

ومعدن الرحمة حين تجلى ماذا عكس؟ عكس معاني الإلوهية، ماذا تجلى من معدن الرحمة؟ تجلت الأسماء الحسنى وإلى هذا يشير إمامنا الصادق – **نحن الأسماء الحسنى** – إلى ذلكم المقام إلى تلكم المراتب العالية، فمن تجلياتها ما جاء في هذا الدعاء – **فبهم ملأت سمائك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلا أنت فبذلك أسألك وبمواقع العز من رحمتك وبمقاماتك وعلاماتك** – هذي هي العلامات التي أشار إليها إمامنا الرضا قال – **أسمي على نفسي سِمةً، ما السِمة؟ قال: العلامة** – هناك علامة هذه العلامة هي علامة الولاية، هذه علامة الرحمة الرحيمية، لأن الذي يقولُ بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لا بالمعنى اللفظي إنما هو يرتبط بذلك الرباط الخاص رباط الموجودات الأشرف وهو رباط الولاية من مجالي هذه الولاية في العالم الأرضي ولاية أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ولذلك – **مَنْ والاكُمْ فَقَدْ والَى اللهَ** – الموالاة هنا في العالم الأرضي لأهل البيت إنما هي موالاةٌ لله لأن الرحمة الرحيمية هي رباط الولاية بين الله وبين أشرف الموجودات – **يا أحمد خلقتك لي** – هذا رباط الولاية بين الله وبين الحقيقة المُحَمَّدية – **ثم شق أنوار الوجود من نور مُحَمَّد صلى الله عليه وآله** – وهذا هو مجلى الولاية الإلهية في سائر الموجودات، كان الإشراق بالمعنى الرحماني وتلك ولاية الوجود، وكان الإشراق بالمعنى الرحيمي وتلك ولاية القُرب، لذلك مر علينا في الرواية – **الرحمنُ بجميع العالم والرحيمُ بالمؤمنين خاصة** – لإشارة هنا إلى المؤمنين خاصة على طريقة المثال على طريقة المصداق، الحديث هنا عن كل الموجودات الشريفة من المؤمنين ومن غيرهم.

ولا غرابة في ذلك حتى في الجنان عندنا في الروايات هناك بعض الحيوانات الأرضية سيدخلها الله إلى الجنة، هل هناك في الحيوانات الأرضية أكثر نجاسة من الكلب؟! أليس في الروايات إن كلب أهل الكهف سيكون في الجنان؟! وغير ذلك، أنا هنا لا أريد الحديث عن الجنان وعن قوانين الجنان التي وردت في الروايات، لكنني أشرت إلى هذا المثال لتوضيح المطلب ولا أريد أن أشط بعيداً عن أصل العنوان الذي أنا أتحدث عنه – **فبذلك أسألك وبمواقع العز من رحمتك وبمقاماتك وعلاماتك** – هذه العلامات أي علامات؟ هذه علامات الرباط برباط الولاية، الولاية الإلهية والتي من مجاليها في العالم الأرضي ولاية أهل البيت، من والاهم فقد والى الله، ومن عاداهم فقد عادى الله، وهم الأبواب التي من خلالها نصل إلى الله، وهم العروة الوثقى الذين إذا تمسكنا بهم تمسكنا بالله سبحانه وتعالى، المعاني في الروايات وفي الأدعية وفي الآيات مترابطة وبعضها يشد البعض الآخر، وأعتقد أن المضامين التي أشرت إليها الآن والتي سأشير إليها في الحلقات القادمة من هذا البرنامج كلها تصب في جهةٍ واحدة تصب في نهرٍ واحد، لكن الكلام مأخوذ مع كل عنوان من هذه العناوين من جهةٍ من الجهات، أنا قلت بأن المعارف الإلهية يشترط فيها أن نراعي فيها القاعدة الذهبية الأولى وهي قاعدةُ حفظ المقامات وقاعدة تعدد الحيثيات، لربما لو نظر المشاهدون بعين

الدقة لوجدوا أن نفس المعاني التي ذكرتها في أهل بيت النبوة في موضع الرسالة في مختلف الملائكة في مهبط الوحي في معدن الرحمة وفيما سيأتينا من عناوين أخرى، هناك إلتقاء بين هذه المعاني من جهة من حيثيةٍ ما، وهناك إفتراق من حيثيةٍ أخرى، لأنني راعيت في هذه المضامين هاتين القاعدتين: قاعدة حفظ المقامات، وقاعدة تعدد الحيثيات.

معدن الرحمة هم معدن الرحمة في كل أفقٍ من الأفاق، على سبيل المثال لا على سبيل الاستقصاء، هذا هو الجزء الخامس عشر من بحار الأنوار في الصفحة الثامنة، الرواية عن أبي ذر الغفاري عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يحدثه عن جوانب من معراجه إلى أن يقول صلى الله عليه وآله – **قلتُ: يا ملائكة ربي هل تعرفونا حق معرفتنا؟!** – النبي هنا يسأل الملائكة – **هل تعرفونا حق معرفتنا؟!** – الملائكة لا تعرف أهل البيت حق المعرفة، مر علينا – **إن أمرنا صعبٌ مستصعب لا يحتمله لا نبيٌ مرسل ولا ملكٌ مقرب، فمن يحتمله؟ قال: من شئنا** – وفي رواية ثانية قال – **نحن نحتمله** – مر الكلام في هذه المطالب – **قلتُ: يا ملائكة ربي هل تعرفونا حق معرفتنا؟!** – الآن نحن إذا أردنا أن نقرأ الرواية ونقارن ما ذكرته الملائكة من معرفتهم بهم صلوات الله عليهم نجد بأنهم لا يعرفونهم حق المعرفة لأننا إذا قارنا بين الإشارات الموجودة في كلام الملائكة وبين إشاراتٍ أخرى ذكرها أهل البيت نجد أن هناك فارق بين معرفة الملائكة وبين ما يحدثنا به أهل البيت عن مقاماتهم السامقة، وعلى أي حالٍ أنا هنا لست بصدد المقارنة بين ما قالته الملائكة وبين ما جاء في رواياتٍ أخرى، وإنما أردت أن أورد نماذج من روايات تتحدث عن مظاهر الرحمة الرحمانية والرحمة الرحيمية، إن كان ذلك في العوالم العليا، إن كان ذلك في عالم الدنيا، في الحياة أو بعد الموت في عوالم الآخرة، أقرأ الرواية، النبيُ يسأل الملائكة – **يا ملائكة ربي هل تعرفونا حق معرفتنا؟! فقالوا: يا نبي الله وكيف لا نعرفكم** – ما قالوا بأنهم يعرفونهم حق المعرفة، قالوا بأننا نعرفكم – **يا نبي الله وكيف لا نعرفكم وأنتم أول ما خلق الله، خلقكم أشباح نورٍ من نوره، في نورٍ من سناء عزه ، ومن سناء ملكه، ومن نور وجهه الكريم، وجعل لكم مقاعد في ملكوت سلطانه، وعرشه على الماء قبل أن تكون السماء مبنيه والأرض مدحيه، ثم خلق السماوات والأرض في ستة أيام** – الرواية تتحدث عن جهات، عن مراتب، عن صور في عوالم الخلق الأولى أقف عند هذه العبارة:

خلقكم أشباح نورٍ من نوره. الأشباح هي غير الظلال، هناك مرتبة الظلال لأهل البيت وهناك مرتبة الأشباح، ومرتبة الأشباح أعلى من مرتبة الظلال – **خلقكم أشباح نورٍ من نوره** – والشبح النوري هو نفس الكلام الذي أشرت إليه المرآة النورية، الشبح هو ماذا؟ هو الصورة المماثلة لذي الصورة، شبحي هو ما هو؟ الصورة المماثلة لصورتي، فهذا الشبح يكون مُظلماً بالقياس لوجودي، أما الحديث هنا عن أشباح نورية –

خلقكم أشباح نورٍ من نوره – أنا هنا لست بصدد شرح الرواية فقط أردت أن أبين هذه النقطة أقرأ الروايات ما يظهر من عظمة المعاني فيها أكتفي به – **قلتُ: يا ملائكة ربي هل تعرفونا حق معرفتنا؟! فقالوا: يا نبي الله وكيف لا نعرفكم** – ما قالوا بأننا نعرفكم حق المعرفة، قالوا بأننا نعرفكم – **فقالوا: يا نبي الله وكيف لا نعرفكم وأنتم أول ما خلق الله، خلقكم أشباح نورٍ من نوره** – مَرّ علينا قبل قليل في ما جاء في سورة الفاتحة، من الروايات التي تحدثت عنها في بيان معنى البسملة، ماذا تقول هذه الرواية؟ – **يا نبي الله وكيف لا نعرفكم وأنتم أول ما خلق الله، خلقكم أشباح نورٍ من نوره، في نورٍ من سناء عزه ومن سناء مُلكه** – إذا تتذكرون قبل قليل الإمام الصادق وهو يتحدث عن معنى بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قال – **الباءُ بهاء الله، والسينُ سناء الله، والميمُ ملك الله** – الحديث هنا – **خلقكم أشباح نورٍ من نوره، في نورٍ من سناء عزه ومن سناء ملكه ومن نور وجهه الكريم** – هناك ترابط وهناك دلالات واضحة بين هذه الروايات لكن المقام لا يسع لتفصيل كل شيء – **وجعل لكم مقاعد في ملكوت سلطانه وعرشه على الماء** – وتحدثنا عن الماء – **قبل أن تكون السماء مبنية والأرض مدحية ثم خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم رفع العرش إلى السماء السابعة فاستوى على عرشه وأنتم أمام عرشه** – الحديث هنا عن مظاهرهم في عالم العرش، لهم تجليات، العرش من نورهم التجلي الأعظم لهم كان قبل خلق العرش ولكن لهم تجليات في كل عالم من العوالم – **ثم رفع العرش إلى السماء السابعة فاستوى على عرشه وأنتم أمام عرشه تسبحون وتقدسون وتكبرون، ثم خلق الملائكة من بدء ما أراد من أنوار شتى، وكنا نمر بكم وأنتم تسبحون وتُحَمِّدون وتُهَلِّلون وتُكَبِّرون وتمجدون وتقدسون فنسبح ونقدس** – طبعاً هذه المراتب لكل درجة من درجات الملائكة.

هناك ملائكة مسبحة، هناك ملائكة مقدسة، هناك ملائكة مكبرة، هناك ملائكة مهللة هذي تشير إلى أن هؤلاء الملائكة كل ما عندهم من التجليات من ذلك المصدر – **وكنا نمر بكم وأنتم تسبحون وتُحَمِّدون وتُهَلِّلون** – نمر بكم ليس مروراً مادياً، الحديث هنا ليس عن عالم الدنيا والملائكة يمرون بهم كأنهم يمرون بصديقٍ أو بقريب، القضية عميقة جداً، الدلالات عميقة جداً، الملائكة إنما شعت وجوداتهم من أنوار عليٍّ صلوات الله وسلامه عليه وهذا واضح في الروايات، ومرت علينا بعض الروايات التي تشير إلى هذا المعنى – **وكنا نمر بكم وأنتم تسبحون** – هذا تجلي – **وتُحَمِّدون** – تجلي ثاني – **وتُهَلِّلون** – تجلي ثالث – **وتُكَبِّرون** – تجلي رابع – **وتُمَجِّدون** – تجلي خامس – **وتُقَدِّسون** – هذا تجلي سادس – **فنسبح ونُقَدِّسُ ونُمَجِّدُ ونُكَبِّرُ ونُهَلِّلُ** – بأي شيءٍ؟ – **بتسبيحكم وتحميدكم** – نهلل بهِ، نسبح به، دلالة عميقة جداً، أي أنهم يسبحون بتسبيح أهل البيت، ما المراد من ذلك؟ المراد أن تسبيح الملائكة هو تسبيح أهل البيت

لكن بوجهٍ من الوجوه، بالوجه الذي يتناسب مع عالم الملائكة، كل تسبيحٍ هو رادٌّ إلى التسبيح الأول إلى معدن الرحمة، كل هذا يؤول بنا إلى معدن الرحمة – **فنسبح ونُقَدِّسُ ونُمَجِّدُ ونُكَبِّرُ ونُهَلِّلُ بتسبيحكم وتحميدكم وتهليلكم وتكبيركم وتقديسكم وتمجيدكم فما أُنزِلَ من الله فإليكم** – لا ينزل إلى غيركم – **فما أُنزِلَ من الله فإليكم** – لأن فيض الله إليكم ومنكم يصدر الفيض – **يا مُسَبِّبَ الأسباب من غير سبب** – هذه الأسباب هم – **يا مُسَبِّبَ الأسباب من غير سبب** – أول ما خلق الله خلق المشيئة بنفسها، يعني من غير سبب، ثم خلق الأشياء بالمشيئة يعني بسبب المشيئة، هم الأسباب – **يا مُسَبِّبَ الأسباب من غير سبب** – يُوجد الأسباب ولكن من غير سبب، خلق المشيئة بنفسها يعني أنهُ يُوجد الأسباب بالأسباب بنفس الأسباب، أول ما خلق الله المشيئة ثم ماذا؟

خلق المشيئة بنفسها ثم خلق الخلق بالمشيئة، فهم مشيئة الله سبحانه وتعالى – **فما أُنزِلَ من الله فإليكم وما صعد إلى الله فمن عندكم** – وما صعد إلى الله فمن عندكم أيضاً لأنهم هم معدن الرحمة، معدن يعني المركز، من أين نُحَصّل على الذهب؟ من معدنِهِ، من أين نُحَصّل على الفضة؟ من معدنِهِ، من أين نُحَصّل على الحديد؟ من معدنِهِ، وهذا في الشيء المادي في الشيء الترابي، والكون إنما هو طبقات وصور، العالم الأرضي صورة ضعيفة جداً بعيدة جداً عن عالم العرش وما فوق عالم العرش – **فما أُنزِلَ من الله فإليكم وما صعد إلى الله فمن عندكم فَلِمَا لا نعرفكم** – وما صعد إلى الله إشارة إلى الرحمة الرحيمية – **فما أُنزِلَ من الله فإليكم** – هذه الرحمة الرحمانية، رحمانية انبساط الوجود – **وما صعد إلى الله فمن عندكم** – هذه رحيمية الولاية، قلت قبل قليل بأن الرحمة رحمانية وهو الفيض المنبسط، الفيض المنبسط على كل الموجودات، والرحمة الرحيمية هي الولاية هي الرباط، مادة الرباط بين الله وبين أشرف الموجودات – **فما أُنزِلَ من الله فإليكم** – ومنكم يصدر – **وما صعد إلى الله** – الصاعدون إلى الله الموجودات الشريفة أشرف الموجودات – **فمن عندكم فلِمَا لا نعرفكم أقريء علياً منا السلام** – عليٌّ هو المحور، أين ما تذهب في عالم الحقائق تجد علياً ساطعاً – **فلِمَا لا نعرفكم أقريء علياً منا السلام** – إلى أن يقول صلى الله عليه وآله – **ثُمَّ عُرِجَ بي إلى السماء السابعة فسمعت الملائكة يقولون لَمَّا أن رأوني الحمد لله الذي صَدَقَنا وعده** – لَمَّا رأوا النبي كانوا يقولون الحمد الله الذي صَدَقَنا وعده – **ثم تلقوني وسلموا عَلَيَّ وقالوا لي مثل مقالة أصحابهم** – يعني نفس الكلام السابق الذي مر علينا قبل قليل – **وقالوا لي مثل مقالة أصحابهم** – يعني الكلام الذي ذكرتهُ وطلبوا منه أن يُسلم على عليّ – **أقريء علياً مِنا السلام** – قلت بأننا في عالم الحقائق أين ما نذهب نجد علياً واضحاً هناك – **فقلت يا ملائكة ربي سمعتكم تقولون الحمد لله الذي صَدَقَنا وعده فما الذي صَدَقَكم؟ قالوا: يا نبي الله إن الله تبارك وتعالى لَمَّا أن**

خلقكم أشباح نورٍ من سناء نورهِ ومن سناء عزه وجعل لكم مقاعد في ملكوت سلطانه عَرَضَ ولايتكم علينا ورسخت في قلوبنا فشكونا محبَّتك إلى الله – شكونا محبتك إلى الله يريدون أن يروا تجلياً من تجلياتهِ، وإلا فهم لا يستطيعون النظر، ولا تستطيع العقول أن تقترب من ذلك الفناء الأقدس – **فشكونا محبَّتك إلى الله فوعد ربنا أن يُريناكَ في السماء معنا** – وعدنا في مقطعٍ من المقاطع أن نراك في السماء – **وقد صَدَقَنا وعده لذلك قلنا الحمد لله الذي صَدَقَنا وعده** – فهم ينتظرون نورهُ، هم منتظرون هناك في عوالمهم وهذه معاني عميقة ومعاني دقيقة جداً، وهذه المعاني لا تنسجم إلا إذا ما استطعنا أن نوائم بين هذه الروايات والروايات الكثيرة الأخرى حتى ترتسم الصورة كاملة، من دون أن ترتسم الصورة كاملة تبقى هذه الروايات وكأنها أجزاء يتيمة وكأنها قطع مبتورة من صورة كبيرة.

رواية ثانية هذه الرواية التي مرت يرويها أبو ذر الغفاري، الرواية الثانية يرويها سلمان الفارسي، سلمان المُحَمَّدي عن النبي: **يا سلمان فهل علمت من نقبائي ومن الإثنى عشر الذين اختارهم الله للإمامة بعدي؟ فقلت: الله ورسوله أعلم، قال يا سلمان: خلقني الله من صفوة نوره ودعاني فأطعت، وخلق من نوري علياً فدعاه فأطاعه، وخلق من نوري ونور عليٍّ فاطمة فدعاها فأطاعتهُ** – هي النورية الجامعة بين النورية النبوية والولوية – **وخلق مني ومن عليٍّ وفاطمة الحسن والحسين فدعاهما فأطاعاه، فسمانا بالخمسة الأسماء من أسمائهِ الله المحمود وأنا مُحَمَّد، والله العليّ وهذا عليّ، والله الفاطر وهذه فاطمة** – الفاطر يعني الخالق – **والله الفاطر وهذه فاطمة، والله ذو الإحسان وهذا الحسن، والله المحسن وهذا الحسين، ثم خلق منا من صلب الحسين تسعة أئمة فدعاهم فأطاعوه** – متى؟ – **قبل أن يخلق الله سماءً مبنية وأرضاً مدحيةً أو هواءً أو ماءً** – هذا الماء الماء الأرضي – **أو ماءً أو مَلَكاً أو بشراً وكُنا بعلمهِ نوراً نسبحهُ** – وإلا كما قلت قبل قليل الماء في أصلهِ ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ الماء في أصلهِ الحقيقة المُحَمَّدية، الحديث هنا عن الماء الأرضي – **وكُنا بعلمهِ نوراً نسبحهُ ونسمع ونطيع** – كنا بعلمهِ لا يُقاس علم الله بعلم الإنسان، حينما أقول أنا موجودٌ في علمك يعني عبارة عن صورة، صورة ذهنية، أما في علم الله فذلك هو أرقى مراتب الوجود، أرقى مراتب الوجود هو وجود الموجودات في علم الله، هذه أرقى مرتبة، وهذه المرتبة نحن لا نعرف قيمتها الله يعرفها، هذه أرقى مراتب الوجود وجود المخلوقات في علم الله، ثم بعد ذلك يكون التجلي في المرآة الأولى في الماء الأول، وإلا أرقى مرتبة هي مرتبة الحقيقة المُحَمَّدية في علم الله، ومرتبة الحقيقة المُحَمَّدية في علم الله هي أرقى المراتب ولكن ذلك شأنٌ من شؤونهِ سبحانه وتعالى لا علم لنا بذلك – **كلما ازددتم تفكراً كلما ازددتم تحيراً – وكُنا بعلمهِ نوراً نسبحهُ ونسمع ونطيع** – هذا السمع والطاعة والتسبيح لا تُقاس بما يجري في العالم الأرضي.

رواية أخرى ينقلها الشيخ المجلسي عن المحَدِّث الكراجكي رحمة الله عليه في كتابهِ كنز الفوائد: **عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفرٍ الباقر عليه السلام، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى أحدٌ واحد تفرد في وحدانيته ثم تكلم بكلمة فصارت نوراً ثم خلق من ذلك النور مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله وخلقني وذريتي ثم تكلم بكلمة فصارت روحاً فأسكنهُ الله في ذلك النور وأسكنهُ في أبداننا فنحن روح الله وكلماته وبنا احتجب عن خلقه فما زلنا في ظلةٍ خضراء حيثُ لا شمس ولا قمر ولا ليل ولا نهار ولا عينٌ تطرف** – يعني تتحرك – **نعبدهُ ونقدسهُ ونسبحهُ قبل أن يخلق الخلق** – هذه نماذج وأمثلة من كلمات المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين التي تحدثنا عن جوانب من مجالي معدن الرحمة، هذه الروايات لا تتحدث عن معدن الرحمة، وإنما تتحدث عن تجليات، تتحدث عن مجالي من مجالي معدن الرحمة، حين تجلى معدن الرحمة فكانت هذه التجليات وكانت هذه المراتب وكانت هذه الصور، هذه الروايات تحدثت عن جهات عن حيثيات عن مقامات عن صور مراتب من مجالي الرحمة في العوالم العلوية.

في الكافي الشريف الحديث الرضوي في أوصاف الإمام المعصوم عليه السلام هذا هو الجزء الأول من كتاب الكافي الشريف اقتطف منه هذه السطور يقول إمامنا الرضا عليه السلام: **الإمام كالشمس الطالعة المُجللة بنورها للعالم** – فهو منبع الرحمة، هذا الحديث عن أئمتنا في العالم الأرضي عن مجالي معدن الرحمة في العالم الأرضي، الروايات التي مرت قبل قليل كان الحديث فيها عن مجالي الرحمة في العوالم العلوية، الحديث في هذه الكلمات عن مجالي معدن الرحمة في العالم الأرضي في شخوص الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين – **الإمام كالشمس الطالعة المُجللة بنورها للعالم** – وهذه التعابير ليس تعابير أدبية كما مثلاً نريد أن نمدح عالماً كبيراً فنقول هو بحرٌ في العلم مثلاً، أو نتحدث عن شخصٍ كريم فنقول إنهُ جوادٌ كريم غطى بكرمهِ الناس مثل ما غطت السماء أو غطت الشمس الناس، وهو كلام لا حقيقة له، حينما نريد أن نحسبهُ بدقة، أما هذه الكلمات تتحدث عن حقائق موجودة في الواقع الخارجي وإن لم يكن الإنسان يتلمسها، والإنسان ماذا يتلمس من طبيعتهِ ومن حقيقة نفسه؟ ماذا نعرف نحن الآن من تراكيب أبداننا؟ ماذا نعرف عن ما يجري في هذه المعدة التي نحشوها ليل نهار بالطعام، ماذا نعرف؟ هل نملك صورة ندري ماذا يجري في هذه المعدة حتى نريد أن نحيط بما يجري في العالم – **الإمام كالشمس الطالعة المُجللة بنورها للعالم** – يعني الإمام فيضهُ واصلٌ إلى الناسِ، إلى الحيوانات، إلى الجن، إلى سكان البحار، إلى التراب، إلى الماءِ، فما شيءٌ منا إلا وأنتم له السبب وإليه السبيل – **الإمام كالشمس الطالعة المُجللة بنورها للعالم وهي في الأفق بحيث لا تنالها الأيدي والأبصار** – فإذاً كيف سنُحيطُ علماً بفيض هذا

الإمام – **الإمام البدر المنير** – هذي مظاهر من مظاهر ومن مجالي معدن الرحمة في العالم الأرضي في شخوص الأئمة – **الإمام البدر المنير** – هذا مظهر من مظاهر رحمته، العبارات هنا ليس أدبية ولو كان المقام يسنح للحديث في تفاصيل هذه العبارات كل عبارة لها دلالتها الخاصة – **الإمام البدر المنير والسراج الزاهر والنور الساطع** – هذه مجالي ومراتب وظهورات لمعدن الرحمة تتجلى في شخوص الأئمة – **الإمام البدر المنير والسراج الزاهر والنور الساطع والنجم الهادي في غياهب الدجى** – غياهب: ظلمات – **وأجواز البلدان والقفار** – أجواز البلدان يعني الأماكن الواسعة الشاسعة البعيدة وتكون من جملتها الصحارى البوادي الواسعة – **وأجواز البلدان والقفار ولُجج البحار** – كما قلت قبل قليل فيضهُ واصلٌ إلى كل هذه الجهات – **الإمام الماء العذبُ على الظمأ والدالُ على الهدى والمنُجي من الردى** – إلى أن يقول عليه السلام – **الإمام السحاب الماطر** – هذه مظاهر الرحمة – **والغيث الهاطل والشمس المضيئة والسماء الظليلة والأرض البسيطة والعين الغزيرة والغدير والروضة الإمام الأنيس الرفيق والوالد الشفيق والأخ الشقيق والأم البرة بالولد الصغيرة** – هذه كلها مظاهر للرحمة، هذه مظاهر للرحمة في جانب الفيض وفي الجانب الأخلاقي والأفعالي للإمام.

الإمام صلوات الله وسلامه عليه هو بابٌ للفيض الوسيع وبابٌ كذلك للفيض الخاص، مثل ما هناك رحمةٌ رحمانية واسعة والتي من مجاليها – **الإمام كالشمس الطالعة المجللة بنورها للعالم، الإمام البدر المنير والسراج الزاهر والنور الساطع والنجم الهادي، الإمام الماء العذب على الظمأ الدال على الهدى والمنجي من الردى** – هذه معاني تشير إلى أي شيءٍ؟ تشير إلى الرحمة الرحمانية المتجلية في أشخاص الأئمة في العالم الأرضي، وكذلك – **الإمام السحاب الماطر والغيث الهاطل والشمس المضيئة والسماء الظليلة والأرض البسيطة والعين الغزيرة والغدير والروضة** – هناك معاني تشير إلى الرحمة الرحيمية رباط الولاية – **الإمام الأنيس الرفيق والوالد الشفيق والأخ الشقيق والأم البرة بالولد الصغيرة ومفزع العباد في الداهية النئآد** – الداهية النئآد الكبيرة العظيمة يعني، المصيبة الكبيرة، هذه العبارات وهذه العناوين كل عنوان بحاجة إلى شرحٍ أو إلى بيان، لكنها بالجملة هي مجالي للرحمة الرحمانية وللرحمة الرحيمية المتجلية في العالم الأرضي في شخوص الأئمة، وهي صور ومظاهر لمجالي الرحمة التي مرت الإشارة إليها في الروايات السابقة في العوالم العلوية، وكل ذلك من معدن الرحمة من النور الأول، في عالم الآخرة وفي يوم القيامة، أيضاً هناك روايات أخذت بعضاً منها على سبيل النموذج تتحدث عن مظاهر هذه الرحمة عن مجالي هذه الرحمة.

هذا هو الجزء الثامن من بحار الأنوار والرواية ينقلها الشيخ المجلسي عن عيون أخبار الرضا لشيخنا الصدوق رحمة الله عليه، الرواية عن داوود بن سليمان – **عن الرضا عن آبائهِ عن أمير المؤمنين عليهم السلام**

قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله إذا كان يوم القيامة وُلينّا حساب شيعتنا – هم أولياء لحساب كل الخلائق سيأتينا في الزيارة الجامعة – **إيابُ الخلق إليكم وحسابهم عليكم** – هذا من جملة نصوص الزيارة الجامعة الكبيرة، إيابُ الخلق إليكم مئابُ الخلق مرجعهم إليكم، وحسابهم عليكم، لكن هنا الإمام يتحدث عن صورة من صور يوم القيامة في الرحمة الرحيمية – **إذا كان يوم القيامة وُلينّا حساب شيعتنا فمن كانت مظلمتهُ** – يعني معاصيه يعني ذنوبه – **فمن كانت مظلمتهُ فيما بينهُ وبين الله عزَّ وجل** – إذا كان عنده ذنوب فيما بينه وبين الله – **حكمنا فيها فأجابنا**– حكمنا فيها يعني أجزنا له الأمر، يعني رفعنا عنه الحساب، حكمنا فيها، الله هو الذي حَكَّمَنا وأعطانا الاختيار – **حكمنا فيها فأجابنا** – في بعض الروايات – **ذهبنا إلى الله وطلبنا منه أن يعفو عنكم** – نفس المعنى – **ومن كانت مظلمتهُ بينه وفيما بين الناس استوهبناها** – كيف يستوهبها الأئمة؟ إذا كانت المظلمة مع أُناسٍ من أهل الجنان يُعطون درجات أعلى في الجنان، وإذا كانت المظلمة مع أُناسٍ من أهل النيران يُخَفَف عنهم العذاب، يُقال لأهل النيران بأننا نخفف العذاب عنكم فاسقِطوا هذه المظلمة عن هذا الرجل من أشياعنا – **إذا كان يوم القيامة وُلينّا حساب شيعتنا فمن كانت مظلمتهُ فيما بينهُ وبين الله عزَّ وجل حكمنا فيها فأجابنا ومن كانت مظلمتهُ بينه وفيما بين الناس استوهبناها فوهبت لنا ومن كانت مظلمتهُ فيما بينه وبيننا كُنا أحق من عفا وصفح** – نحن نعفو عنكم ونصفح عنكم وهذه مظاهر مجالي من مجالي الرحمة الرحيمية في أشخاص الأئمة في يوم القيامة، وإلا هناك مجالي للرحمة الرحمانية وللرحمة الرحيمية أيضاً في يوم القيامة، لكننا لا نستطيع أن نتحدث عن كل شيءٍ في مثل هذا الوقت الضيق.

الرواية التي أختم بها حديثي رواية جميلة جداً الرواية هذه منقولة في تفسير فرات بن إبراهيم وهو من التفاسير الجميلة التي نقلت نوادر وأجمل الروايات في تفسير القرآن عن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، الرواية طويلة أخذ منها سطوراً، الرواية ينقلها ابن عباس عن سيد الأوصياء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يتحدث مع فاطمة يحدِّثُها عن مشاهد ومواقف يوم القيامة، النبي هكذا يقول: **ثم يقول جبرئيل** – بعد حديث طويل، أنا فقط أخذ سطوراً، الرواية طويلة وجميلة جداً، لكن المقام لا يسع لقراءتها بتمامها – **ثم يقول جبرئيل: يا فاطمة سلي حاجتكِ، فتقولين: يا ربِّ شيعتي، فيقول الله: قد غفرت لهم، فتقولين: يا ربِّ شيعة وُلدي، فيقول الله: قد غفرت لهم، فتقولين: يا ربِّ شيعة شيعتي، فيقول الله: انطلقي فمن اعتصم بكِ فهو معكِ في الجنة** – انطلقي فمن اعتصم بكِ من لجأ إليكِ من لاذ بكِ، وهؤلاء الذين يتمكنون من الاعتصام بفاطمة هم الذين يعتصمون بها في الدنيا، وإلا ليس كل أحد يستطيع أن يعتصم بفاطمة، أول شيء ماذا طلبت؟ قالت يا ربِّ شيعتي، ثم يا ربِّ شيعة وُلدي، ثم يا ربِّ

شيعة شيعتي، فيقول الله: انطلقي فمن اعتصم بكِ من شيعتك من شيعة وُلدك من شيعة شيعتكِ من اعتصم بكِ، من الذي يستطيع أن يعتصم بفاطمة في ذلك اليوم؟ من كان له قدرة على أن يعتصم بها في الدنيا، من كان معتصماً بها في الدنيا – **فيقول الله: انطلقي فمن اعتصم بكِ فهو معكِ في الجنة، فعند ذلك** – هذه العبارة جميلة جداً في الروايات – **فعند ذلك تودُّ الخلائق أنهم كانوا فاطميين** – وهذا مُرادي أن الذي يعتصم بفاطمة من كان فاطمياً في الدنيا، هؤلاء هم الذين يعتصمون بها، الله يقول لها بالبداية ماذا سألت؟ قالت: يا ربِّ شيعتي، شيعة وُلدي، شيعة شيعتي، قال: انطلقي من يعتصم بكِ، من يتعلق بكِ، من الذين سيتعلقون بفاطمة؟ الفاطميون كل من كان فاطمياً في الحياة الدنيوية هو هذا الذي يستطيع أن يعتصم بها – **فعند ذلك تودُّ الخلائق أنهم كانوا فاطميين** – ويا ليتنا كُنا فاطميين في الدنيا وفي الآخرة – **فعند ذلك تودُّ الخلائق أنهم كانوا فاطميين فتسيرين ومعكِ شيعتكِ وشيعة وُلدك وشيعة أمير المؤمنين** – ماذا تقول الرواية؟ فاطمة تسير والشيعة تسير معها – **آمنةً روعاتهم** – وهذه أجلى معاني الرحمة الرحيمية – **آمنةً روعاتهم مستورةً عوراتهم** – لأنهُ في يوم القيامة العوارت مُكَشّفة – **قد ذهبت عنهم الشدائد وسَهُلت لهم الموارد يخاف الناس وهم لا يخافون ويظمأ الناس وهم لا يظمئون** – من هم هؤلاء؟ هؤلاء الفاطميون هؤلاء الذين يعتصمون بفاطمة في الدنيا.

أيلومنا أحد أن نلهج بذكر فاطمة بعد هذا الكلام؟ حين نلهج دائماً بذكر فاطمة، حين نُزَيِّنُ مجالسنا بذكر فاطمة، حين نرفع أسم فاطمة شِعاراً لنا، حين نجعل حياتنا في مدار خدمة فاطمة، أيلومنا أحدٌ بعد ذلك؟! إنما نبحث عن نجاتنا في ذلك، إنما نبحث عن منافعنا في ذلك، هل يلوم أحدٌ التاجر حينما يحرص على تجارته!! تجارتنا مع فاطمة، رأس مالنا مع فاطمة، حياتنا مع فاطمة، ديننا مع فاطمة صلوات الله وسلامه عليها.

لولا حُبُّكِ تخمد أنفاسي يا بنت رسول الله ...
لولا حُبُّكِ تهدأ أجراسي ...
طاقة أنفاسي من حُبِّكِ يا زهراء ...
لولا حُبُّكِ تخمد أنفاسي ...
لولا حُبُّكِ تهدأ أجراسي ...
يا زهراء يا زهراء يا زهراء ...

فعند ذلك تودُّ الخلائق أنهم كانوا فاطميين فتسيرين ومعكِ شيعتكِ وشيعة وُلدك وشيعة أمير المؤمنين آمنةً روعاتهم مستورةً عوراتهم – هنيئاً للفاطميين – **قد ذهبت عنهم الشدائد وسَهُلت لهم الموارد**

يخاف الناس وهم لا يخافون ويظمأ الناس وهم لا يظمئون فإذا بلغتِ باب الجنة تلقتك اثنا عشر ألف حوراء لم يتلقين أحداً قبلكِ – هذا للاستقبال – **ولا يتلقينَ أحداً كان بعدكِ** – وفاطمة في الروايات هي أول داخلٍ إلى الجنة، أول شخص يدخل إلى الجنة فاطمة، يُدخلها رسول الله، تدخل قبل رسول الله وقبل سيد الأوصياء، هم يُدخلونها، فاطمة كما قلت قبل قليل هي الحقيقة الجامعة بين النبوة والولاية وفي ذلك سرٌ عظيم، أعود أقرأ هذا النص – **فتسيرين ومعكِ شيعتكِ وشيعة وُلدك وشيعة أمير المؤمنين آمنةً روعاتهم مستورةً عوراتهم قد ذهبت عنهم الشدائد وسَهُلت لهم الموارد يخاف الناس وهم لا يخافون ويظمأ الناس وهم لا يظمئون** – كل ذلك بفضل فاطمة، فاطمة هي صورة الرحمة.

أليس فاطمة هي الأُم؟! فاطمة أمُّ أبيها، فاطمة أمُّ الأئمة، فاطمة هي أمُّ الكتاب، وفاطمة هي أمُّ المؤمنين، أليس عندنا في الروايات إن أطفال المؤمنين الذين يموتون وهم رُضَّع ماذا تقول الروايات؟ إن أطفال المؤمنين أطفال شيعتها إن أطفال الفاطميين، من هم شيعتها؟ شيعتها الفاطميون، إن أطفال الفاطميين الذين يموتون وهم رُضَّع، الروايات تقول الملائكة تحملهم إلى أين؟ تحملهم إلى الجنان، إلى أين؟ إلى جنة فاطمة، هي التي تُشرِفُ عليهم، هناك شجرة في جنتها هؤلاء الأطفال يرضعون منها، هي ترضعهم وهذه روايات فيها إشارات ورموز.

أسألهُ سبحانه وتعالى ونحن في شهر والد فاطمة، أسألهُ بوالد فاطمة بفاطمة وأبيها وبعلها وبنيها والسر المستودع فيها أن يوفقنا جميعاً، أن يوفقني وأن يوفقكم لخدمة فاطمة في حياتنا الدنيوية أن نحيا على خدمتها وأن نموت على خدمتها وأن نُحشر تحت رايتها، أن نعيش فاطميين وأن نموت فاطميين، أسألهُ تعالى أن يجعل آخر لفظٍ أتلفظهُ في حياتي وأحبُّ أن يكون ذلك لي ولكل إخواني المؤمنين أن أتلفظ مستغيثاً مستجيراً يا زهراء. وكل ذلك إنما هو من مجالي معنى معدن الرحمة وانقضى الوقت وزاد اليوم شيئاً وما انقضى الكلام، لا زالت القضية طويلة، فحالي أشبهُ بحال ذلك الذي يقرأ قصة ألف ليلة وليلة وفي نهاية كل ليلة يقول الراوي فقد طلع الصباح وسكتت شهرزاد عن الكلام المباح، مهما تحدثنا ومهما قلنا فإن الكلام قليل، وهناك العشرات والعشرات من النصوص التي يمكن أن أوردها في بيان هذه المعاني ولكننا ماذا نصنع بسيف الوقت، أكتفي بهذا القدر وإن شاء الله في طوايا الحلقات القادمة تتبين لنا الكثير من المعاني في فضائل أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ، وَمَوْضِعَ الرِّسالَةِ، وَمُخْتَلَفَ الملائِكَةِ، وَمَهْبِطَ الْوَحْيِ، وَمَعْدِنَ الرَّحْمَةِ.

والسلام عليكم يا شيعة آل مُحَمَّد ورحمة الله وبركاته، أسألكم الدعاء جميعاً وفي أمان الله.

وفي الختام :

لا بُدّ من التنبيه الى أنّنا حاولنا نقل نصوص البرنامج كما هي وهذا المطبوع لا يخلو من أخطاء وهفوات فمن أراد الدقّة الكاملة عليه مراجعة تسجيل البرنامج بصورة الفيديو أو الأوديو على موقع زهرائيون.

مع التحيات

المُتابَعة

زهرائيون

1433 هـ